



بحث مقدم من

الشيخ/ محمد أحمد حسين

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

خطيب المسجد الأقصى المبارك

بعنوان

" سنن الله في التاريخ "

إلى

"المؤتمر الثامن عشر لمؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي "

بعنوان " سنن الله في خلقه "

المملكة الأردنية الهاشمية

8 - 10 / صفر / 1441 هـ

7- 9 / تشرين الأول / 2019 م

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وبعد؛

فقد جعل الله تبارك وتعالى في هذا الكون سنناً تنظمه، وتجعل حياة خلق الله تبارك وتعالى تسير وفق منهجه القويم، لا يحيد عنه أبداً؛ فالسنن الإلهية مطردة، وحتى تسير الأمة نحو القوة، لا بد من بحث سنن الله تبارك وتعالى؛ لتستخلص منها العبر والعظات، وتصل إلى ما يحقق رضا الله تبارك وتعالى، مما يستجلب النصر والقوة، والرفعة في الدنيا والآخرة، فلا يستوي من يبحث عن منهج الله تبارك وتعالى ليتبعه، وبين من يخلد إلى الأرض، ويتبع هواه، ويغفل عن سنن الله تبارك وتعالى. وبناءً على دعوة كريمة من مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي، للكتابة في هذا المجال، فقد بحثت في جانب من سنن الله تبارك وتعالى، ويتعلق بسنن الله تعالى في التاريخ، وفي بعض أحوال الأمم التي خلت، نصرًا وهزيمةً.

### أهمية البحث:

تعود أهمية هذا البحث إلى ضرورة الأخذ بعوامل الازدهار والرقى، والنظر في عوامل الانهيار والسقوط، فحركة المجتمعات والتاريخ لها سنن، تنبغي معرفتها، وإلا كانت جهودنا غير رشيدة، ومساعدنا على غير هدى، فالشروع أبان لنا من الناحية الفكرية أن سير التاريخ محكوم بسنن وقوانين ينبغي أن نعتبر بها<sup>(\*)</sup>.

كما أن البحث يمتاز بلامسته للواقع، ويهدف إلى علاج مرض تعاني منه الأمة، ويؤكد على فهم الماضي لنعيش الحاضر بمنهج سليم، ومستقبل ناجح يمتاز بالتقدم.

\* قيلي، حسن سليمان حسن، *السنن التاريخية في القرآن الكريم*، ص9، بحث مقدم لجامعة الخرطوم لنيل شهادة الدكتوراة، 2008م.

## أسباب اختيار البحث:

وقع الاختيار على عنوان هذا البحث لأسباب عدة، منها:

1. إن الله تبارك وتعالى حث على تدبر ما وقع في الماضي، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾<sup>(\*)</sup>، وهذا البحث متعلق ببحث التاريخ، أي الماضي.
2. ما تعانيه الأمة في هذه الأوقات يتطلب من الأمة فهم سنن الله تبارك وتعالى، لتصل إلى الرفعة والعلو، ورضا الله تبارك وتعالى.
3. حث الأمة على العمل الجاد، وحث كل شخص على القيام بواجباته تجاهه.

## مشكلة البحث:

للبحث تساؤلات كثيرة، أذكر منها الآتي.

1. هلاك الأمم السابقة، هل هو عقوبة نتيجة أفعال تلك الأمم؟ وهل هي سنة جارية في الخلق لا تحيد عنها أبداً؟
2. كيف تعود أمة الإسلام إلى ما كانت عليه من العلو والمجد والقوة؟
3. ما عوامل البناء الحقيقي للدول؟
4. ما عوامل انهيار الدول وانحطاطها؟

## منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على منهجين علميين، هما:

1. المنهج التاريخي الوصفي: والذي برز في ذكر أحوال الأمم السابقة، وما كانوا عليه من أحوال آلت إلى هلاكهم.
2. المنهج التحليلي الاستنباطي: والذي برز في استخلاص الأمور التي أدت إلى انهيار بعض الأمم السابقة وهلاكها.

## خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومشكلته، ومنهجه، وخطته.  
المبحث الأول: تعريف مفردات البحث وأهمية السنن الإلهية وخصائصها  
المطلب الأول: تعريف "سنة الله في التاريخ"، في اللغة والاصطلاح  
المطلب الثاني: أهمية معرفة السنن الإلهية

\* آل عمران: 137.

المطلب الثالث: خصائص سنن الله تعالى

**المبحث الثاني: سنة الله تعالى في إهلاك الظالمين، والفاستين**

المطلب الأول: إهلاك الله لقوم لوط، عليه السلام؛ لفسادهم الأخلاقي

المطلب الثاني: إهلاك الله لقوم شعيب، عليه السلام؛ لفسادهم الاقتصادي

المطلب الثالث: إهلاك الله تبارك وتعالى للكفار زمن النبي صلى الله عليه وسلم، غزوة الأحزاب  
أنموذجاً

**المبحث الثالث: أثر الإيمان بسنة إهلاك الله للظالمين في حياة الأمة**

المطلب الأول: أثر الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في هلاك الظالمين على الفرد.

المطلب الثاني: أثر الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في هلاك الظالمين على المجتمع.

**الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.**

**قائمة المصادر والمراجع.**

وأخيراً؛ فهذا جهد المقل، فما أصبت فمن الله وحده، وما أخطأت فيه فهو من نفسي والشيطان. وأتوجه بالشكر الجزيل وعظيم الامتتان إلى مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي؛ لمنحي فرصة المشاركة في أعمال هذا المؤتمر الكريم، سائلاً المولى عز وجل أن يجعله مؤتمر خير وبركة، وأن يكتب له النجاح، نحو تحقيق الغاية السامية التي يعقد من أجلها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه،

الشيخ/ محمد أحمد حسين

المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية

خطيب المسجد الأقصى المبارك

رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

16 شوال 1440هـ

20 حزيران 2019م

## المبحث الأول

### تعريف مفردات البحث وأهمية السنن الإلهية وخصائصها

المطلب الأول: تعريف "سنة الله في التاريخ"، في اللغة والاصطلاح:

أولاً: تعريف السنة لغة واصطلاحاً:

السنة في اللغة: يطلق لفظ السنة في لغة العرب، ويراد به معانٍ عديدة يمكن تلخيصها في الآتي:  
المعنى الأول: الطريقة والسيرة<sup>(1)</sup> فيقال: بنوا بيوتهم على سنن واحد، أي على طريقة واحدة، وسنة النبي، صلى الله عليه وسلم، ما ينسب إليه، وسنة الله، حكمه في خلقته<sup>(2)</sup>.  
وقد ذكر ابن منظور أن سنة الله هي أحكامه وأوامره ونواهيه، ومعنى سننها الله للناس؛ أي بينها، وسن الله سنة؛ أي بين طريقاً قويمًا<sup>(3)</sup>.

وأما المعنى الثاني: فيدور حول رعاية الشيء، والعناية به، والقيام بتكاليفه، ويقال سن الإبل يسُنّها سنًا، إذا رعاها فأسمنّها<sup>(4)</sup>، ويقال أسنه عن الرجل، إذا اعتنى به<sup>(5)</sup>.

والمعنى المراد من لفظ السنة في هذا البحث يندرج تحت القسمين السابقين، فسنة الله تعالى في التاريخ ثابتة ولا تتبدل، فهي نهج ثابت لا يحابي أحدًا، وكما أن رعاية الله وعنايته بخلقه أوجدت هذه السنن؛ ليعيشوا وفق نهج الله.

السنة في الاصطلاح: عرف العلماء السنة بما يدل على السنة النبوية، حيث أورد العلماء أكثر من تعريف لها، منها:

1. السنة كما ذكر الكفوي، في كتاب الفروق، اسم للطريقة المرضية المسلوكة في الدين، من غير افتراض ولا وجوب، والمراد بالمسلوكة في الدين ما سلكها رسول الله، صلى الله عليه وسلم<sup>(6)</sup>.
2. وذكر الشوكاني في إرشاد الفحول، أن السنة في عرف أهل الفقه إنما تطلق على ما ليس بواجب، وتطلق على ما يقابل البدعة، كقولهم: فلان من أهل السنة<sup>(7)</sup>، ويضيف المحدثون:

(1) الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصحاح*، تحقيق محمد زكريا يوسف، 461/6، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1990م

(2) زيات، أحمد وآخرون، *المعجم الوسيط*، تحقيق مجمع اللغة العربية، 456/1، دار الدعوة، تركيا.

(3) ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، 13 / 220، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

(4) المرجع نفسه.

(5) الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، *تاج العروس*، تحقيق مجموعة من المحققين، 288 / 35، دار الهداية، القاهرة.

(6) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، *الكلبيات*، 783، تحقيق عدنان درويش وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م.

(7) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول*، 95/1، تحقيق أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دار

الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ - 1999م.

أو صفة، فمعناها عندهم أعم؛ لأنهم أهل العناية برواية الأخبار<sup>(1)</sup>.

والسنة التي وردت في التعريفات الاصطلاحية السابقة، تكون بإضافة السنة للنبي، صلى الله عليه وسلم، والتي نحن بصدد الحديث عنها هي إضافة السنة إلى الله تبارك وتعالى، والمعنى المراد يكون أقرب من الجانب اللغوي، وهو بمعنى حكمة الله تعالى التي تسير في خلقه ومجازاته لهم على فعلهم.

### ثانياً: التاريخ لغة واصطلاحاً:

التاريخ لغة: "الأرخ هو الجنس، فيكون الواحد على هذا القول أرخة، مثل بَطَّ وبطَّة، وتقع الأرخة على الذكر والأنثى<sup>(2)</sup>.

يعرف التاريخ برده إلى أصل "أرختُ الكتاب بالثقل في الأشهر والتخفيف، لغة حكاها ابن القطّاع، إذا جعلت له تاريخاً... وأرختُ البيّنة ذكرت تاريخاً لها"<sup>(3)</sup>، والتاريخ التوقيت بوقت بعينه<sup>(4)</sup>.

وسنن الله في التاريخ، تتدرج تحت ما ذكرنا في المعنى اللغوي، إذ إنها بحث لما وقع على الحقيقة من أحداث وفق النسق الزمني الماضي، فهي متتابعة كمراحل الولادة، وبحث سنن الله في التاريخ كذكر التاريخ للبيّنة، فهي وقعت وفي عهد معلوم، وسنن الله وقعت، وهي مؤقتة بوقت النبي، صلى الله عليه وسلم، أو القوم الذين جرت عليهم السنة.

التاريخ في الاصطلاح: عرف ابن خلدون التاريخ في مقدمته بقوله: "أنه خبر عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال، مثل التوحش، والتأنس، والعصبيات، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب، والمعاش، والعلوم، والصنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"<sup>(5)</sup>.

وهذا التعريف يتناسق مع مضمون هذا البحث؛ لأن بحث سنن الله التاريخية عبارة عن بحث أخبار المجتمعات السالفة، بما فيها من عمران وظروف وأحوال، عاشوا فيها على ضربيين، إما بالتزام سنن الله، فيؤول إلى التمكين، وسيادة المجتمع والدولة، أو عدم التزام بهذه السنن، مما يؤول إلى الهلاك.

(1) البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، تيسير الوصول إلى علم الأصول، ص 73، شرح عبد الله بن صالح الفوزان.

(2) الزبيدي، تاج العروس، 227/7.

(3) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير، ص 12، تحقيق يوسف الشيخ أحمد، المكتبة العصرية، بيروت.

(4) البعلي، محمد بن أبي الفتح، المطلع على أبواب الفقه، 401، تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401 هـ - 1981م.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، 56/1، بتحقيق المستشرق كاترمير، طبعة باريس، 1858م.

ثالثاً: تعريف السنة الإلهي: وهي: جملة المواثيق والعهود التي عهد الله بها لكل شيء في هذا الوجود، وهي كلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر<sup>(1)</sup>.

وقد عرفها محمد الجريتي، في بحث عن السنن الإلهية، بأنها: "القوانين الحاكمة قدرًا في العباد، التي تجري باطراد وثبات وعموم، في حياة البشر"<sup>(2)</sup>.

كما ذكر رشيد كهوس، تعريفًا للسنن الإلهية، فقال: هي أقدار الله، وعهوده الثابتة، وعهوده الحقّة، وكلماته التامات، التي لا تبديل لها ولا تحويل يعتريها، ولا تغيير يشملها، ولا تحابي أحدًا مؤمنًا كان أم كافرًا، والتي بمقتضاها يدبر الله الكون<sup>(3)</sup>.

فنخلص إلى أن سنة الله تعالى في التاريخ هي حكمة الله تعالى في خلقه، وضبطهم بقوانين تسيّر أمور الحياة من خلالها أحكامه وأوامره ونواهيها، مما يؤول إلى سعادة وطمأنينة لمن اتبع هذه السنن، كما يؤول إلى فشل من لا يلتزم بهذه السنن، وانكساره.

#### المطلب الثاني: أهمية معرفة السنن الإلهية

يتعرض هذا المطلب لأهمية معرفة السنن الإلهية، حيث إن ابن خلدون قال في سياق ذكر الفائدة من معرفة التاريخ: "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مأخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر، وثبوت، تفضي بصاحبها إلى الحق، وتتكب به عن المزلات والمغالط"<sup>(4)</sup>.

هذا ما قاله ابن خلدون في أهمية التاريخ بالإجمال، فكيف إذا أسندت بحث التاريخ إلى الله تبارك وتعالى، وسنته في خلقه؟! وحملت البحث في ثناياها بحث ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، من الأخبار القطعية، ولم تعتمد على محض الروايات التي تحتل الكذب والصدق، وتتضح فوائد بحث سنن الله في التاريخ، بالآتي:

1. ترسيخ الرقابة والقدرة الإلهية في نفوس الأمة، وذلك لأن المتأمل في سنن الله في التاريخ، والناظر في أحوال الأمم السابقة، وبيان أحوال المطيع لله، وعاقبة أمره، وكذلك حال العاصي

(1) مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد جابري، ينظر [https://vb.tafsir.net/tafsir23143/#.XGUsl\\_ZuKUK](https://vb.tafsir.net/tafsir23143/#.XGUsl_ZuKUK).

(2) مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد الجريتي، ينظر [https://www.alukah.net/publications\\_competitions/0/37004](https://www.alukah.net/publications_competitions/0/37004).

(3) رشيد كهوس، نشأة علم السنن الإلهية ومنهاج تدريسه، 1/146.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، 1/92، تحقيق عبد الله بن محمد الدراويش، الطبعة الأولى، دار يعرب، 1425هـ، 2004م، بتصرف.

المتنرد ونهايته، التي تعبر عن قدرة الخالق، وأنه لا يغيب عنه مثقال ذرة، فيقول تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (1).

2. بث الأمل في الأمة، وفهم الماضي فيه إعانة لأهل الإيمان وربط على قلوبهم، وكذلك يقذف فيهم التاريخ روح العمل وعدم اليأس والانكسار، وقد جاء تفسير الآية الكريمة ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (2)، حيث جاءت الآية في سياق الحديث عن معركة أحد، فهي تدل على أن الذي وقع في معركة أحد من هزيمة، لا يصح أن يضعف عزائمكم، فإن السنن التي قد خلت من قبلكم تبين لكم كيف كانت مصارعة الحق للباطل، وكيف ابتلي أهل الحق أحياناً بالخوف، والجوع والانكسار في الحرب، ثم كانت العاقبة لهم، فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين للرسول، المقاومين لهم، فإنهم كانوا هم المخذولون المغلوبون، وكان جند الله هم المنصورون الغالبون، وإذا كان الأمر كذلك؛ فلا تهنوا، ولا تحزنوا لما أصابكم في أحد (3).

3. فهم التاريخ على وجه الحقيقة التي لا جدال فيها، وتحليل الواقع الذي عاشته الأمم، مما يؤدي إلى معرفة عوامل البناء، والأمن، والاستقرار، والصحة، والرفاهية، وعوامل الهدم، والخوف، والجوع، والمرض (4)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (5) مما يدفع الأمة للاستفادة من التاريخ من أجل بناء الحاضر، الذي يجعل الأمة قوية مرهوبة الجانب.

4. معرفة السنن تعين المسلمين على الخروج من متاهة الاختلاف والنزاع والضعف والتشتت؛ لأن كشف السنة التي تحكم أمراً من الأمور، سيجعل النظرة إلى هذا الأمر نظرة عليم خبير، وينقل التعامل معه من نطاق الفرضيات والنظريات، القابلة للأخذ والرد والاختلاف إلى آفاق العلم، الذي لا جدال فيه، ولا اختلاف ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (6)، فيجمعهم هذا الأمر بعد تفرق، ويقويهم بعد ضعف، ويوحدهم بعد شتات، ويقومهم بعد انحراف واعوجاج (7).

(1) آل عمران: 26-27.

(2) آل عمران: 137.

(3) رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم، 4/115، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1990م.

(4) مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد الجريتلي، ينظر: [https://www.alukah.net/publications\\_competitions/0/37004](https://www.alukah.net/publications_competitions/0/37004).

(5) الأعراف: 96.

(6) الملك: 38.

(7) مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد الجريتلي، ينظر: [https://www.alukah.net/publications\\_competitions/0/37004/](https://www.alukah.net/publications_competitions/0/37004/).

### المطلب الثالث: خصائص سنن الله تعالى

تتميز سنن الله بالعديد من الخصائص التي تعطي لسنن الله القوة في التأثير، وتجعلها ذات أهمية كبيرة، وفيما يأتي بعض هذه الخصائص:

1. الربانية، فإن أبرز ما يميز سنن الله، كونها مضافة إلى الله تبارك وتعالى، فالله هو الرب الخالق، الذي يعلم ما يحقق السعادة والفلاح للخلق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>(1)</sup>، مما يجعل التصور لسنن الله هو تصور اعتقادي، منبثق عن كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، وهذه الربانية تورث الثقة والاطمئنان بالاتباع لها، كما تورث أيضًا التصور اليقيني لحقائق الأشياء<sup>(2)</sup>.
2. تتميز سنن الله بأنها ثابتة، وأنها لا تتغير، كما قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(3)</sup>، فهو نظام محكم، يخضع له الجميع، فيجري هذا النظام على الجميع دون محاباة ولا مجاملة، فمن يلتزم السنن ينج، وإلا فلا نجاة<sup>(4)</sup>.
3. تتسم السنن الإلهية بالعدالة التامة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>(5)</sup>،<sup>(6)</sup>.
4. سنن الله تتميز بالعموم والاطراد؛ قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾<sup>(7)</sup>، وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾<sup>(8)</sup>، فهي تعم البشر كلهم والخلائق، فيقع فيقع على كل من يظلم سنن الظلم كما تقع سنن الله في العدل على كل من يعدل، أي إن سنن الله جارية في خلقه، فلا تحابي أحداً، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا، وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾<sup>(9)</sup>.

(1)الملك: 38.

(2) شهوان، راشد سعيد، *تأصيل علم السنن الربانية*، ص40، مجلة القسم العربي، العدد الخامس عشر، 2008م.

(3)الأحزاب: 62.

(4) مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد صالح المنجد، ينظر: <https://almunajjid.com/2014>.

(5) يونس: 44.

(6) مقال عن الشبكة العنكبوتية موقع كطف الفوائد، ينظر: <http://katf.net/archives/5697>.

(7)الأحزاب: 62.

(8)القلم: 35.

(9) النساء: 123-124.

## المبحث الثاني

### سنة الله تعالى في إهلاك الظالمين

يعرض هذا المبحث نماذج من التاريخ لمخالفين سنة الله تعالى في خلقه، ولم يستجيبوا لرسوله، عليهم السلام، فكان الهلاك عاقبة أمرهم، ففي هذا المبحث ثلاثة مطالب، الأول في إهلاك الله تبارك وتعالى لقوم لوط، عليه السلام، والثاني إهلاك الله لقوم شعيب، عليه السلام، والمطلب الثالث إهلاك الله لكفار مكة، غزوة الأحزاب أنموذجاً.

### المطلب الأول: إهلاك الله لقوم لوط، عليه السلام، لفسادهم الأخلاقي

#### أولاً: واقع لوط، عليه السلام، مع قومه

لقد عصى قوم لوط، عليه السلام، رب الأرض والسماء، وتمردوا على أمره وسننه في خلقه، فلم يستجيبوا لرسول الله، عليه السلام، حيث دعاهم إلى التوحيد، وترك ما هم عليه من فساد خلقي عظيم، تمثل في أنهم يأتون الذكران، وهذا من أشد الفساد الخلقي، فهو أشد من الزنى، إذ إن الزنى وإن كان من أعظم الذنوب عند الله إلا أن الفطرة السليمة من حيث الابتداء تستدعي التجاذب بين الرجل والمرأة، بخلاف إتيان الذكور، فهو على خلاف أصل الفطرة.

فأنذر لوط، عليه السلام، قومه، وبين لهم خطورة ما يقومون به، وأنه يستجلب لهم غضب الله وعذابه، ويوقع بهم العقاب الشديد من الله تبارك وتعالى، فقال لهم: كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ \* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ \* نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ \* وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾<sup>(1)</sup> ذكر الإمام السعدي في تفسيره لهذه الآية: "أن قوم لوط كذبوا حين دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن الشرك، والفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فكذبوه، واستمروا على شركهم وقبائحهم، حتى إن الملائكة الذين جاءوه بصورة أضياف، حين سمع بهم قوم لوط، جاؤهم مسرعين، يريدون إيقاع الفاحشة فيهم"<sup>(2)</sup>.

ولم يكتفوا بفساد أخلاقهم، وانحطاط طريقتهم، وتكذيبهم لرسول الله، بل زادوا على ذلك بأن أرادوا إخراج لوط، عليه السلام، من مجتمعهم، فهددوه بأنه إن لم يكف عن نهيمهم عن أفعالهم القبيحة ليخرجه من قريتهم: ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ \* قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

ثم اجتمع قوم لوط على فساد الحكم فيما بينهم، فأصدروا القرار بإخراج لوط، عليه السلام، وعائلته من قريتهم؛ لأنهم يتطهرون، وبهذا صار الفساد مركباً عندهم، قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ

(1) القمر: 33-36.

(2) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م.

(3) الشعراء: 167 - 168.

أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ \* إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ \* وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْتَهَرُونَ ﴿١﴾ .

ثم تمردوا أكثر، وطلبوا أن يأتيهم بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿أَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(2)</sup> فطلب لوط من الله النصر عليهم، والنجاة منهم، قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(3)</sup>.

فاستجاب الله لرسوله لوط، عليه السلام، وأرسل سبحانه الملائكة إلى لوط، عليه السلام، ومن شدة فسادهم الأخلاقي جاءوا إلى لوط، عليه السلام، يراودونه عن ضيوفه، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾<sup>(4)</sup>.

ثم أخبروا لوطاً، عليه السلام، أن الله أرسلهم من أجل إيقاع العذاب في القوم الفاسدين، قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \* قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ \* وَأْتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* فَأَسِرْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَقِ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ \* وَقَصِينَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾<sup>(5)</sup>.

ووقع العذاب عليهم بما كسبت أيديهم من فساد في أخلاقهم، وفي هذا يقول تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ \* فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِنْ سِجِّيلٍ \* إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ \* وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾<sup>(6)</sup>.

ثانياً: لفتات في ضوء قصة قوم لوط، عليه السلام

1. الله جل في علاه له نظام، أمر الناس بالسير عليه، ويتسم هذا النظام بالحث على الخلق الكريم، وينهى عن الرذيلة والفساد، ويأمر سبحانه بما يحقق السعادة للبشر، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(7)</sup>، فتخلف الأخلاق في المجتمع نذير بالعقاب الإلهي، والضعف وعدم التمكين، فقوم لوط كذبوا الرسول، صلى الله عليه وسلم، ولم يجعلوا للأخلاق أي قيمة، بل إنهم قلبوا المعيار الذي تقاس به الأمور، فتلذذوا بما لم يشرع الله لهم.

(1) الأعراف: 80-82.

(2) العنكبوت: 29.

(3) العنكبوت: 30.

(4) هود: 77.

(5) الحجر: 62-66.

(6) الحجر: 73-76.

(7) النحل: 90.

2. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعرض الخلق للعقاب الرباني، فقوم لوط ما كان منهم رجل رشيد يقول الحق، ويبينه لهم سوى لوط، عليه السلام، فهو صاحب الحق الذي يدعو إلى الفطرة السليمة، التي ترفع شأن المجتمع، والله تعالى يقول: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>(1)</sup>، فأمر الله تعالى العباد إن أرادوا الرشاد أن يقيموا الصلاة، ويأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، وحثهم على الصبر على ذلك، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهْمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا، يَمْرُؤٌ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَدَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأَسَاءَ، فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَاتَّوَّهُ، فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَدِّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجُوهُ وَتَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ"<sup>(2)</sup> والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

3. ضرورة أن يكون مقصد الأمة طلب الحق، بل التمحيص في طلبه، إذ إن عدم اتباع الحق من أجل شهوة، أو غاية لا تكون لله تبارك وتعالى، تعرض للهلاك، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾<sup>(4)</sup>.

### المطلب الثاني: إهلاك الله لقوم شعيب، عليه السلام، لفسادهم الاقتصادي

#### أولاً: واقع شعيب، عليه السلام، مع قومه

أرسل الله تعالى شعيباً، عليه السلام، إلى أهل مدين، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده، وأن يخشوا الله، ويطيعوا أمره، وأن يتركوا ما هم عليه من فساد اقتصادي، تمثل في تطيف الميزان، فقال لهم رسول الله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(5)</sup>، فذكرهم بأن الله سبحانه هو الذي خلقهم، كما خلق كل شيء من قبلهم، والخلق من آيات الله سبحانه، فلا خالق إلا الله تبارك وتعالى، القائل: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْحَبْلَةَ الْأُولَىٰ﴾<sup>(6)</sup> ففي هذه الآية الكريمة يدعو شعيب، عليه السلام، قومه إلى تقوى الله سبحانه، والخوف منه، والتزام أمره، وعدم التمرد على رسل الله وتكذيبهم.

(1) لقمان: 17.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب القرعة في المشكلات، 954/2، تحقيق مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ - 1987م.

(3) هود: 117.

(4) النساء: 66.

(5) الشعراء: 177.

(6) الشعراء: 184.

ونهاهم أن يصدوا عن سبيل الله تبارك وتعالى، فقال لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾<sup>(1)</sup>، فقد نهاهم كما ذكرت الآية الكريمة عن الجلوس على كل طريق تهددون، وتصدون عن سبيل الله، أي دين الله، من آمن به، وتبغونها عوجًا، أي زيغًا، وقيل: تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد، وذلك أنهم كانوا يجلسون على قوارع الطريق، فيقولون لمن يريد الإيمان بشعيب، عليه السلام: إن شعيبًا كذاب، فلا يفتك عن دينك، ويتوعدون المؤمنين بالقتل، ويخوفونهم<sup>(2)</sup>.

ثم قالوا لنبي الله شعيب، عليه السلام: يا شعيب لنخرجنا من قريتنا، أو لتعودن في ملتنا، أي إلى دين آبائنا، فقال عند ذلك: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَأَكُمُ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾<sup>(3)</sup>، وإليه أنيب، أي: هو الذي يعصمني منكم وإليه أرجع، ثم قال: ﴿أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾<sup>(4)</sup> أي إلى الرجعة إلى دينكم، فإن رجعنا إلى دينكم نكون ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا \* وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا﴾<sup>(5)</sup> يقول: وما ينبغي لنا أن نعود فيها بعد إذ نجانا الله منها، فخاف العاقبة، فرد المشيئة إلى الله تعالى، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا \* وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا \* عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا \* رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾<sup>(6)</sup> وكان شعيب، عليه السلام، حليماً صادقاً وقوراً، وكان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إذا ذكر شعيباً يقول: «ذاك خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته»<sup>(7)</sup>، فترفق شعيب قومه فيما دعاهم إليه، وفيما ردوا عليه وكذبوه، وتوعدوه بالرجم والنفي من بلادهم، وتوعد كبارؤهم ضعفاءهم، قالوا: ﴿لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾<sup>(8)</sup> فلم ينته شعيب أن دعاهم، فلما

(1) الأعراف: 86.

(2) ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، 2/214، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/1999م.

(3) هود: 88.

(4) الأعراف: 88.

(5) الأعراف: 89.

(6) الأعراف: 89.

(7) الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء، باب ذکر شعيب عليه السلام،

2/620، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ - 1990م، سكت عنه الذهبي.

(8) الأعراف: 90.

عتوا عن أمر الله: ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾<sup>(1)</sup> وذلك أنهم حين سمعوا الصيحة قاموا قياماً، ففزعوا لها فرجفت بهم الأرض، فرمتهم ميتين<sup>(2)</sup>.

ثانياً: لفتات في ضوء قصة شعيب، عليه السلام

نستخلص بعض الإشارات من قصة شعيب، عليه السلام، لتكون فيها العبرة والعظة، ومنها:

1. بيان خطر النظام العلماني على المجتمع، فقوم شعيب أنكروا عليه أن يكون للعبادة أي أثر في التعامل المالي، أو التصرف في شؤون الحياة، وهذا هو جوهر النظام العلماني، الذي يجعل من الدين حبيس الصلاة والمسجد، قال الله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾<sup>(3)</sup>.
2. تطفيف الميزان من كبائر الذنوب التي يعاقب الله تبارك وتعالى عليها أشد العقوبة، لما فيها من دمار للمجتمع، وتفكيك لروابطه، كما أن فيها إيقاظاً لشرور النفس، وبعثها على التعدي، وأكل حق الغير.
3. المعصية والتمرد على أمر الله يفضي إلى زوال النعم، ويستجلب النقم، وعذاب الله؛ لذلك قال شعيب، عليه السلام، لقومه بعد أن نهاهم عن تطفيف الميزان: ﴿إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾<sup>(4)</sup>، فهو يقول: أنتم على خير ونعمة، فلا تعصوا حتى لا تزول هذه النعمة، بل إن لم تنتهوا، فإني أخاف عليكم العقوبة من الله عز وجل.
4. إذا غيرنا ما نستطيع بالالتزام بشرع الله، وتنفيذ ما أمر به سبحانه، مع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يقع علينا اللوم والذم، والله يغير لنا ما لا نستطيع من العقبات الكبيرة، ويهدينا إلى سبل الرشاد وطرق العزة، أما إن أخلدنا إلى الدنيا، وتركنا شرع الله، وما أمر به، كانت العاقبة الضعف والخذلان، ووقوع اللوم والذم على من تمرد وخالف.
5. الفساد والظلم أهم العناصر التي توجب الهلاك، إما في الدنيا، وإما في الآخرة؛ لذلك يقول ابن تيمية: "الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة، وإذا كان لا بد من طاعة أمر ونهيه، فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله،

(1) الأعراف: 91.

(2) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 6/ 477، تحقيق مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، 1424هـ، 2003م.

(3) هود: 87.

(4) هود: 84.

صلى الله عليه وسلم، خير له، وهو الرسول النبي الأمي، المكتوب في التوراة والإنجيل، الذي يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر صلى الله عليه وسلم (1).

### المطلب الثالث: إهلاك الله تبارك وتعالى للكفار زمن النبي؛ غزوة الأحزاب أنموذجاً

يعرض هذا المطلب جانباً من الواقع الذي عاش فيه النبي، صلى الله عليه وسلم، وفي الفرع الثاني بحث عن غزوة الأحزاب، وفي الفرع الثالث لفتات في ضوء غزوة الأحزاب. أولاً: واقع دعوة النبي، صلى الله عليه وسلم، لكفار قريش.

لما قارب النبي، صلى الله عليه وسلم، سن الأربعين، حُبب إليه الخلاء، فكان يتحنث في غار حراء الليالي الطوال، فلما أتم الأربعين جاءه جبريل، عليه السلام، ليبلغه الرسالة من رب الأرض والسماء، ثم جاءه بالأمر من الله بتبليغ الرسالة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ \* قُمْ فَأَنْذِرْ \* وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ \* وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ \* وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ (2)، ثم باشر النبي الكريم، صلى الله عليه وسلم، دعوته سرّاً لمدة ثلاث سنوات؛ وحيث إن قومه كانوا لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان، ولا حجة لهم إلا أنهم ألفوا آباءهم على ذلك، ولا سبيل لهم في حل المشكلات إلا السيف، وكانوا مع ذلك متصدرين للزعامة الدينية في جزيرة العرب، ومحتلين مركزها الرئيس، ضامنين حفظ كيانها، فكان من الحكمة تجاه ذلك أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ لئلا يفاجئ أهل مكة بما يهيجهم (3).

ثم أمر النبي، صلى الله عليه وسلم، بالجهر بالدعوة، فقد أمر الله تعالى أن ينذر عشيرته الأقربين، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (4) فدعا عشيرته، ثم نادى قومه على جبل الصفا، ودعاهم إلى رسالة الإسلام الحنيف.

ثم بدأ كفار قريش بمحاربة النبي، صلى الله عليه وسلم، واضطهاد أصحابه الكرام، رضي الله عنهم، حيث بعثوا وفدًا إلى أبي طالب وهددوه، ثم اعتدوا على النبي، صلى الله عليه وسلم، بشتى الأشكال، وواجهوا دعوته بالسخرية والتحقير، وإثارة الشبهات، وتكثيف الدعايات الكاذبة، وسعوا للحيلولة بين الناس وبين القرآن، ثم لجأوا إلى الحصار الاقتصادي والاجتماعي في آخر العام السابع، ثم جاءت هجرة الحبشة، ثم عام الحزن، وذهاب النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى الطائف، وبعد هذا التسلسل، جاء التكريم من الله تبارك وتعالى، برحلة الإسراء والمعراج.

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، *مجموع الفتاوى*، 28/63، تحقيق أنور الباز وغيره، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، 1426هـ/2005 م. (2) المدثر: 1-5.

(3) ينظر التفصيل: المباركفوري، صفى الرحمن، *الرحيق المختوم*، 49-59، دار ابن خلدون، الإسكندرية.

(4) الشعراء: 214.

تفاوض النبي، صلى الله عليه وسلم، مع بني عامر طلباً للنصرة، ومع بني شيبان وغيرهم، ثم اجتمع النبي، صلى الله عليه وسلم، مع الأنصار، ثم أسلم الأنصار، ثم جاءت بيعة العقبة الأولى، ثم بيعة العقبة الثانية، ثم هاجر النبي، صلى الله عليه وسلم، وهكذا صار للمسلمين دولة<sup>(1)</sup>.

### ثانياً: غزوة الأحزاب

بتدبير من اليهود الذين ذهبوا لقريش يطلبون التحالف معهم لقتل النبي، صلى الله عليه وسلم، واستئصال دعوته، تجمع حول المدينة جيش كبير، يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل، جيش ربما يزيد عدده على من في المدينة من النساء والصبيان والشباب والشيخوخ، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾<sup>(2)</sup>.

وأخذ النبي، صلى الله عليه وسلم، بمشورة الصحابي الجليل، سلمان الفارسي، رضي الله عنه، الذي قال: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس، إذا حوصرنا خندقنا علينا، وكانت خطة حكيمة لم تكن تعرفها العرب قبل ذلك، وكانت خطة حكيمة فأمر النبي، صلى الله عليه وسلم، الصحابة بحفر الخندق.

وقد كان حصار المشركين قوياً، وقد وصفه الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾<sup>(3)</sup>. قال الإمام السعدي: حين جاءتهم جنود أهل مكة والحجاز، من فوهمهم، وأهل نجد، من أسفل منهم، وتعاهدوا وتعاهدوا على استئصال الرسول، صلى الله عليه وسلم، والصحابة، وذلك في وقعة الخندق<sup>(4)</sup>، وكانت الحالة التي عاشها المسلمون من أعظم الابتلاء، حيث قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾<sup>(5)</sup>.

ظهر المنافقون، وأظهروا جبنهم، وعدم إيمانهم، وأرادوا التشكيك في وعد الله، وأشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾<sup>(6)</sup>، وهذه عادة المنافقين عند الشدة والمحنة، لا يثبت إيمانهم، وينظرون بعقولهم القاصرة<sup>(7)</sup>.

ثم بين الله تعالى حال المؤمنين، وكيف تعاملوا مع وجود الأحزاب، فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا\* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا\*

(1) ينظر التفصيل: الصلابي، علي محمد، السيرة النبوية، 297/188، الطبعة السابعة، دار المعرفة، بيروت، 1429هـ/2008م.

(2) الأحزاب: 9.

(3) الأحزاب: 10.

(4) السعدي، تفسير السعدي، ص 659.

(5) الأحزاب: 11.

(6) الأحزاب: 12.

(7) السعدي، تفسير السعدي، 660.

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا\* وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿١﴾.

وبهذا هزم الله جيش الأحزاب، وفرح المؤمنون بنصر الله تبارك وتعالى، وقال النبي، صلى الله عليه وسلم، يوم الأحزاب: (اليوم نَغْرُوهُمْ وَلَا يَغْرُونَنَا)<sup>(2)</sup> فقد أعز الله جنده، وهزم الأحزاب، ودمر جمعهم، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده)<sup>(3)</sup>.

ثالثاً: لفتات في ضوء غزوة الأحزاب.

أبرز الدروس والعبر المستفادة من غزوة الأحزاب، وهي:

1. أبانت غزوة الأحزاب كيف يخطط اليهود للإيقاع بالأمة الإسلامية، وتحقيق أنهم أشد الناس عداوة للمسلمين، وشعارهم دوماً " لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ " <sup>(4)</sup>، فهم يسعون دوماً لأن يجعلوا يجعلوا من الكرة الأرضية رقعة شطرنج، هم محركو أبحارها، ولو بالتحالف مع عبّاد الأوثان يبغض اليهود<sup>(5)</sup>؛ لأن حقيقة اليهود والواقع الذي هم عليه والذي يتمثل بالعدو والخيانة، وعدم الالتزام بعهد ولا ميثاق، وهذا يستجلب النعمة من الله تعالى عليهم، بل وعلى كل من تكون الخيانة طبعه، فهذا يقودنا إلى أن الله تبارك وتعالى من سنته إهلاك أهل الخيانة، وأهل الكفر والضلال، ثم إن الاجتماع والقتال إذا لم يكن لله وفي سبيل الله، كان باطلاً، يوجب العقاب عند الله تبارك وتعالى.

2. بينت غزوة الأحزاب أهمية المشورة في الدولة الإسلامية، فالدولة التي تقوم على أساس الشورى يكون الفلاح والنصر من أبرز مخرجاتها، بخلاف الدولة المتخبطة التي لا شورى فيها، لذلك أتى النبي، صلى الله عليه وسلم، على البطانة الصالحة، التي تشير بما يصلح أحوال الأمة، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: (مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ؛ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ، وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى)<sup>(6)</sup>.

(1) الأحزاب: 22- 25.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، 4/ 1508.

(3) المرجع نفسه، 4/ 1504.

(4) آل عمران: 75.

(5) مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد ياقوت ينظر: <http://www.saaaid.net/mohamed/279.htm>.

(6) البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، 18/ 144.

3. ضرورة الصبر والثبات، والاعتصام بالله، فعاقبة الثبات النصر، كما أن عاقبة الجزع وعدم الثقة بالله الهزيمة.

4. لقد كان هلاك الأمم السابقة بفعل أمر من الله تبارك وتعالى، دون قيام المؤمنين بأي عمل من أجل إهلاك الظالمين، سوى الدعاء، كما حصل في قوم لوط، عليه السلام، فلم يطلب من لوط ولا أهله لا حمل سيف ولا قتال، وكذلك الأمر مع قوم شعيب، فلم يوكل الله شعيباً بأي عمل يقوم به من أجل إهلاك الظالمين، هذا بخلاف السنة الجديدة التي شرعها الله لعباده أهل الإيمان، والتي تقتضي الأخذ بأسباب النصر، والقيام بالأعمال التي توجب النصر، فالنبي، صلى الله عليه وسلم، قام هو والصحابية بحفر الخندق، وبذلوا الجهد، ودعوا الله وتوكلوا عليه، عندها كان النصر حليفاً لهم، بمنة الله تبارك وتعالى، وهذه سنة لله، فلا نصر لأمة الإسلام ما لم تأخذ بأسباب النصر.

5. المسلم لا يخاف إلا من ربه، فلا يتأثر لا بقوة ولا بكثرة عدد، بل يكون الإيمان الذي يملأ القلوب هو الذي يصغر قيمة الأعداء، مما يدفع للاعتصام بالله، والتوكل عليه، قال الله تعالى يصف حال أهل الإيمان: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (1).

6. حقيقة المنافقين، وأنه لا يجوز الاعتماد عليهم، وأنهم لا يثبتون عند احتدام الصراع، فهي إشارة إلى التنبه من المنافقين، وبيان خطر وجودهم، فهم عندما رأوا الأحزاب قالوا: كما ذكر عنهم رب العزة: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (2).

(1) الأحزاب: 22.

(2) الأحزاب: 12.

### المبحث الثالث

#### أثر الإيمان بسنة إهلاك الله للظالمين في حياة الأمة

يعرض هذا المبحث أثر الإيمان بأن الله تبارك وتعالى يهلك الظالمين في المطلب الأول، ونظرة من أجل رفعة الأمة والتقدم.

#### المطلب الأول: أثر الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في إهلاك الظالمين في الفرد

للإيمان بسنة الله في إهلاك الظالمين في الفرد آثار كثيرة، منها:

1. ترك الكبر والاستعلاء؛ لأن الكبر يدمر الفرد، ويبعده عن خالقه، ويحجبه عن الجنة التي هي مراد كل عبد لله تبارك وتعالى، والأقوام التي خلت إنما تمردت ووقعت في الهلاك كنتيجة للكبر الذي وقعت فيه، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ \* وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(1)</sup> قال الإمام السعدي، في تفسير الآية السابقة: إنهم لا يكذبونك؛ لأنهم يعرفون صدقك، ومدخلك ومخرجك، وأحوالك جميعها، حتى إنهم كانوا يسمونك بالأمين، ولكن تكذيبهم لآيات الله التي جعلها الله على يديك<sup>(2)</sup>.

2. الامتناع عن تكذيب أمر الله تبارك وتعالى؛ لأن الأمم السابقة إنما هلكت بسبب تكذيبهم لأمر الله تبارك وتعالى، كذلك قال قوم شعيب، عليه السلام، له: ﴿بَلْ نَطْنُكُمْ كَاذِبِينَ﴾<sup>(3)</sup> فتحكيم أمر الله تبارك وتعالى واجب، وهو القائل سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>(4)</sup>.

(1) الأنعام: 33-34.

(2) السعدي، تفسير السعدي: 254.

(3) هود: 27.

(4) الأحزاب: 35.

3. ترك النزاع والفرقة والاختلاف؛ لأن اجتماع المسلمين ووحدة صفهم، هي من مقاصد الشريعة، فالله تبارك وتعالى، يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(1)</sup>، وكذلك يقول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(2)</sup>.

4. الحرص على العلم؛ لأن العلم يجعل المسلم يسير على نور من الله تبارك وتعالى، والله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾<sup>(3)</sup>.

5. علو الهمة، والقوة في طاعة الرحمن، وعدم الجزع والصبر على ما تكتنفه الحياة من صعاب، وذلك لأن المسلم الذي يؤمن بأن الله سيحاسب الظالم على ظلمه، سيجعل قلبه مطمئناً واثقاً بربه، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾<sup>(4)</sup>.

### المطلب الثاني: أثر الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في إهلاك الظالمين في المجتمع:

للإيمان بسنة الله في إهلاك الظالمين آثار كثيرة في المجتمع، منها:

1. الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى، في إهلاك الظالمين، يؤدي إلى عدم الفساد على مستوى المجتمع؛ لأن الفساد العام في المجتمع يؤدي إلى الهلاك، كما حدث مع قوم لوط، عليه السلام، عندما طلبوا أن يخرجوا آل لوط من القرية؛ والعلة أنهم يتطهرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾<sup>(5)</sup>.

2. البراء من كل نظام يخالف الإسلام، ولا يسير وفق حكم الله تبارك وتعالى؛ لأن تحكيم الشرائع الوضعية يعرض للهلاك، قال الله تعالى في قصة شعيب، عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾<sup>(6)</sup>.

(1) الأنفال: 46.

(2) آل عمران: 103.

(3) فاطر: 28.

(4) الرعد: 28.

(5) الأعراف: 82.

(6) هود: 87.

3. نبذ الاستبداد؛ لأن الاستبداد من أبرز صفات الظالمين، الذين يقصمهم الله تبارك وتعالى، وهو القائل سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾<sup>(1)</sup>.

4. النصر والتمكين للمجتمع المؤمن، ونصره على أعدائه، وذل الأعداء وانكسارهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(2)</sup>، فالله تبارك وتعالى نصر لوطاً، عليه السلام، وكذلك شعيباً، عليه السلام، وهي سنة جارية أن الله تبارك وتعالى ينصر المؤمنين.

5. إن الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في إهلاك الظالمين، يدفع الأمة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يبني مجتمعاً متماسكاً بعيداً كل البعد عن الظلم، وسوء الأخلاق، الذي يعرض المجتمع للهلاك، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>(3)</sup>.

(1) الكهف: 59.

(2) النور: 24.

(3) آل عمران: 110.

## الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات من البحث، فأما النتائج، فهي:

1. الانقياد لله تعالى وتنفيذ أوامره، رغبة فيما عنده من الفضل، ورهبة من شدة عقابه، فإن أخذَه إذا أخذ القرى أليم شديد.
2. إن لله تبارك وتعالى سنناً في خلقه وهي مضطردة وجارية، فمن أخذ بالأسباب كانت له العاقبة الطيبة، ومن تخاذل عنها فله سوء العاقبة.
3. إن أمة الإسلام، إن أرادت العلو والظفر في الدنيا، فيجب إنشاؤها وتربيتها وجعل الواقع الذي تعيشه ربانياً، وذلك بالنظر في أحوال الأمم السابقة، ومن ذلك ترك الفحش في القول والفعل، وصلاح القلوب، وتعلقها بالله تبارك وتعالى، وكذلك الاهتمام بالجانب الاقتصادي وفق المعاملات المالية الشرعية؛ حتى لا تقع في الفساد الاقتصادي للأمم السالفة، كما ينبغي التعلق بسنة النبي، صلى الله عليه وسلم.

وبعد هذا البحث نوصي بأمر عدة:

1. ضرورة العودة بالتحكيم لله تعالى ولنبيه، صلى الله عليه وسلم، فتحكيم شرع الله، تبارك وتعالى، وترك الأنظمة التي تخالف الدين ولا تجعله سبيلاً للحياة ومنهجاً، من جوهر الاعتقاد الذي يستجلب نصر الله تعالى.
2. ضرورة التوسع في بحث سنن الله تبارك وتعالى، فهي سبيل النجاة، الذي يقود للنصر والظفر.
3. ضرورة توعية الناس بسنن الله تبارك وتعالى، وبذلك يتعلق أفراد الأمة بخالقهم، يحققون السعادة في حياتهم.
4. ضرورة تطبيق الأخلاق الإسلامية، فيجب الاهتمام بها، ونشرها، وجعلها واقعاً يعيشه الناس.

هذا والله ولي التوفيق

## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم
2. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، *مجموع الفتاوى*، تحقيق أنور الباز وغيره، الطبعة الثالثة، دار الوفاء، 1426هـ/2005م.
3. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، *مقدمة ابن خلدون*، تحقيق المستشرق كاترمير، طبعة باريس، 1858م.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، *مقدمة ابن خلدون*، تحقيق عبد الله بن محمد الدراويش، الطبعة الأولى، دار يعرب، 1425هـ، 2004م.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
6. أبو البقاء أيوب بن موسى، *الكليات*، تحقيق عدنان درويش وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م.
7. البخاري، محمد بن إسماعيل، *صحيح البخاري*، تحقيق مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، 1407هـ - 1987م.
8. البعلي، محمد بن أبي الفتح، *المطلع على أبواب الفقه*، تحقيق محمد بشير الأدلبي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ - 1981م.
9. البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق، *تيسير الوصول إلى علم الأصول*، شرح عبد الله بن صالح الفوزان. البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ/1999م.
10. الجوهري، إسماعيل بن حماد، *الصاحح*، تحقيق محمد زكريا يوسف، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1990م.
11. رضا، محمد رشيد بن علي، *تفسير القرآن الحكيم*، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1990م.
12. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، *تاج العروس*، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، القاهرة.
13. زيات، أحمد الزيات وآخرون، *المعجم الوسيط*، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، تركيا.
14. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق عبد الرحمن ابن معلا، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م.
15. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، تحقيق مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، 1424هـ، 2003م.
16. شهبان، راشد سعيد، *تأصيل علم السنن الربانية*، مجلة القسم العربي، العدد الخامس عشر، 2008م.
17. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، *إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول*، تحقيق أحمد عزو عناية، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1419هـ - 1999م.
18. الصلابي، علي محمد، *السيرة النبوية*، الطبعة السابعة، دار المعرفة، بيروت، 1429هـ/2008م.

19. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، *المصباح المنير*، تحقيق يوسف الشيخ أحمد، المكتبة العصرية، بيروت.
20. قيلي، حسن سليمان حسن، *السنن التاريخية في القرآن الكريم*، بحث مقدم لجامعة الخرطوم لنيل شهادة الدكتوراه، 2008م
21. الكفوي، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، *المصباح المنير*، تحقيق يوسف الشيخ أحمد، المكتبة العصرية، بيروت.
22. المباركفوري، صفي الرحمن، *الرحيق المختوم*، دار ابن خلدون، الإسكندرية.
23. مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد جابري، [https://vb.tafsir.net/tafsir23143/#.XGUsl\\_ZuKUK](https://vb.tafsir.net/tafsir23143/#.XGUsl_ZuKUK).
24. مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد الجريتلي، [https://www.alukah.net/publications\\_competitions](https://www.alukah.net/publications_competitions).
25. مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد صالح المنجد، <https://almunajjid.com/2014>.
26. مقال عن الشبكة العنكبوتية لمحمد ياقوت، <http://www.saaaid.net/mohamed/279.htm>.
27. مقال عن الشبكة العنكبوتية موقع قطف الفوائد، <http://katef.net/archives/5697>.

## فهرس المحتويات

1	المقدمة
4	المبحث الأول: تعريف مفردات البحث وأهمية السنن الإلهية وخصائصها
4	المطلب الأول: تعريف "سنة الله في التاريخ"، في اللغة والاصطلاح
4	أولاً: تعريف السنة لغة واصطلاحاً
5	ثانياً: التاريخ لغة واصطلاحاً
5	ثالثاً: تعريف السنة الإلهي
6	المطلب الثاني: أهمية معرفة السنن الإلهية
8	المطلب الثالث: خصائص سنن الله تعالى
9	المبحث الثاني: سنة الله تعالى في إهلاك الظالمين
9	المطلب الأول: إهلاك الله لقوم لوط، عليه السلام، لفسادهم الأخلاقي
9	أولاً: واقع قوم لوط، عليه السلام، مع قومه
10	ثانياً: لفتات في ضوء قصة قوم لوط، عليه السلام
11	المطلب الثاني: إهلاك الله لقوم شعيب، عليه السلام، لفسادهم الاقتصادي
11	أولاً: واقع قوم شعيب، عليه السلام، مع قومه
13	ثانياً: لفتات في ضوء قصة شعيب، عليه السلام
14	المطلب الثالث: إهلاك الله تبارك وتعالى للكفار زمن النبي غزوة الأحزاب أنموذجاً
14	أولاً: واقع دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لكفار قريش
15	ثانياً: غزوة الأحزاب
16	ثالثاً: لفتات في ضوء غزوة الأحزاب
18	المبحث الثالث: أثر الإيمان بسنة إهلاك الله للظالمين في حياة الأمة
18	المطلب الأول: أثر الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في هلاك الظالمين في الفرد
19	المطلب الثاني: أثر الإيمان بسنة الله تبارك وتعالى في هلاك الظالمين في المجتمع
21	الخاتمة
22	قائمة المصادر والمراجع
24	فهرس المحتويات